

المعجمات العربية

« تابع ما قبله »

طور التهذيب الحربى

ظهرت تلك المآخذ « التي ذكرناها في الجزء الماضى من الصحيفة » لكثير من أنصار اللغة ، وذوى الغيرة على الأدب العربى ، فهبوا إلى ترقية شئونهما ، والأخذ بناصرهما ، وفكروا فى اصلاح المعجمات القديمة أو وضع غيرها . ولم يقف الأمر عند التفكير ، بل وصل إلى الشروع ، وإبراز الفكرة من مكنها ، فقام أديب مصرى فاضل « وأعنى به المرحوم النجارى بك » لترتيب « لسان العرب » ، ترتيباً يقال إنه على أسلوب المعجمات الإفريقية الحديثة ، ولكنه عاجلته المنية دون إتمامه ، ونحن نأسف أبلغ الأسف لوقوف هذا المشروع حيث وقف به صاحبه ، وقلة من اهتم فينا بالأمر من بعده :

ووضع بعض أفاضل السورىين معجمات جديدة لخصوها من تلك المعجمات القديمة ، ومن أحسنها وضغاً وترتيباً « محيط المحيط » ، و « قطر المحيط » ، للبتانى ، و « أقرب الموارد فى فصيح العربية والشوارد » ، للشرتونى ، و « المنجد » ، للويس معلوف اليسوعى

نقد المعجمات العربية

لكن شيئاً من ذلك لم يكن ليغير من الحالة القديمة التي مازلنا نشكو منها أليم الشكوى :

فأما محيط المحيط وقطره فلا يعدحان الا ترتيبهما ، وفي غير ذلك
يشاركان فيما اشتركت فيه المعجمات القديمة من العيوب والمآخذ ، على
أنهما مزيج من الألفاظ العربية والدخيلة والمولدة ، وهما حريان أن
يكونا معجمين لما يتكلم به أهل العربية من صحيح وغير صحيح ، لا أن
يكونا معجمين عربيين ، ذلك إلى قلة رؤاها وعدم الاعتناء بطبعهما
وأما أقرب الموارد فهو احتذاء وتقليد المحيط المحيط إلا أنه أفضل
منه تنسيقاً وتدقيقاً ، وأجمل طبعاً ووضعاً : وأكثر استيعاباً للشوارد ،
وتقييداً للأوابد المبعثرة في دواوين الأدب وكتب اللغة : على أنه لا يخالو
من عيوب كان يجب أن يبرأ منها

أما أولاً فإغفاله ذكر الأماكن والبقاع ، وأعلام القبائل
والأشخاص ، مع شدة الحاجة إليها

وأما ثانياً فذكره للمولد والدخيل « تقليداً لمحيط المحيط وقطره »
ومثل هذا المعجم كان يجب ألا يحوى غير الفصيح والصحيح كما فهمنا
ذلك من عنوانه

وأما ثالثاً فتركه كثيراً من المفردات اللغوية مع محاولته استيعابها
من المعجمات وكتب الأدب وما إليها

وأما رابعاً فكثر ما به من ذبول تجرّ إلى ذبول ، وفهارس للتنبية
والتكملة ، والتصحيح ، والاستدراك ، وغير ذلك مما يندب معه

الصبر الجميل

وأما خامساً نُقلوه من الصور الموضحة لمشكلاته وغوامضه

ذلك إلى أشياء أخرى لم يخل منها معجم قديم أو حديث
وأما المنجد فهو نموذج حسن لمعجم مدرسي صغير ، وهو على
صغره أوفى مادة من المصباح والمختار ، ولا يخلو من بعض ما أخذ
على أقرب الموارد وغيره ، كأغفاله الأماكن والأعلام الضرورية ،
وذكره المولد والدخيل ، ولكنه يفضل بالصور والرسوم التي توضّح
بعض المبهمات فيه

برعة في تأليف المعجمات

ومما يؤخذ على هذه المعجمات الجديدة ، ذهاب أصحابها جميعا
مذهبا واحدا ، في حذف جانب كبير من اللغة من معجماتهم ، تحرجا
وتأثما ، ذلك هو القسم الخاص بالرّفثِ وألفاظ العورات والسوءات ،
فلا يجيد قليلا ولا كثيرا منها في المعجمات الحديثة التي سبق الكلام
عليها ، على حين أنك قد لا تجد (ترجمة) تخلو من هذه المعاني أو ما
يتعلق بها في المعجمات القديمة . حذفوا ذلك القسم إبقاء على الآداب
(كما يقولون !) ونزيتها للأبصار أن تقع على هذه العورات ، خوفا أن
تهبج الشر من مكنه ، وتنشر الإثم والخزى بين الناس

مذهب جميل في التربية ، يذهب إليه الفرّنجية في تأليفهم الجديدة
أدبية ولغوية ، إلا أني أعتقد أنه مذهب نظري ، لا يعلم الناس الا شيئا
واحدا ، هو الرياء وتصنع الأدب . وما عجبت لشيء عجبي لقوم لا يستحيون
أن يدوسوا الفضيلة بأقدامهم ، بما يعملونه من أعمال ، هي غاية في

القباحة والقحة ، ثم تقوم قيامتهم للفظة يجدونها في كتاب ، يظنون ان في ذكرها هتكاً لحرمة الفضيلة والآداب ، ليوهموا الناس انهم من انصار الحق ، واعوان الشرف ، ومأم وحقك إلا الأذعياء ، ينتقمون من الآداب باسم الغيرة على الآداب والإبقاء على الفضائل ولعمري لئن كان لهم بعض العذر في حذف ذلك من كتب الأدب التي تقع في ايدي الشبان والشوَّاب ، فليت شعري ما عذرهم في حذف ذلك من كتب اللغة ؟ وكيف يفخرون بتمزيق اوصالها ، وبتجزائها ؟ ألم يكن احرى بهم ان يرقوا الآداب العمليّة الاجتماعية ، ويرفعوها من هذه الوهدة التي اختنقت فيها الفضيلة ، ولا عليهم بعد ذلك ان تمتلي صفحات الكتب بهذه المسميات التي يستحيون من (كتابتها !)

والخلاصة اننا لا يصح ان نذهب مذهب القوم في وضع معجماتنا ، لأننا لا يروقنا هذا الرياء والأدب المتصنع ، لا يصح ان نحذف شيئاً من مادة اللغة ، ومهما يكن ذكره قبيحاً نحذفه اقبح وأثم ، لأننا امنا على هذه اللغة لا يصح ان نميت منها إلا ما اماتة أهلها ، ومع ذلك فقد نذهب هذا المذهب الجديد في احاديثنا ، وما نشره من آدابنا ، وفي النسخ التي يتداولها صغار الطلبة والطالبات من كتبنا ، اما في المعجمات الكبيرة فلا

الرعوة لاصلاح المعجمات

ولما كان إصلاح المعجمات وتهذيبها من أول الوسائل لأنها من

اللغة ، وأقوى المهدّات للنهضة العامية الفنية التي تسمى إليها الممالك العربية عامة ، والمملكة المصرية خاصة ، سعيًا حثيثًا ، وكان كل ما عمل بها حتى الآن : من اختصار وتهذيب لمطوّلاتها ، ومن بسط وتطويل لمختصراتها ، غير محقق للغاية التي يندشدها مجبو العربية المتعلقون بها ، رأيت أن أنشر اقتراحى هذا بين الناطقين بهذه اللغة الشريفة ، رجاء أن تتعاون جميعًا على البر بها ، وإصلاح شئونها ، بوضع معجمات جديدة ، على الطريقة التي سأرسمها ، فإننا معاشر الناطقين بالعربية أحوج ما نكون إلى النهوض بلغتنا فى هذا العصر ، الذى نرى فيه رقى اللغات من أسباب سعادة الأمم ، وقوتها ، وحياتها ، ونرى فيه الأمم والجماعات المختلفة تجعل العناية بمسألة اللغة ونشرها من أهم المسائل التى يترتب عليها فوزها فى مستقبل حياتها . فلا بد لنا من مجاراة تلك الأمم فى إحياء لغاتهم ونشرها ، حتى نصل إلى ما وصلوا إليه بحمد ، والله يوفقنا إلى خير العمل

تأليف لجنة التصحيح الجدير

لذلك أرى أن تؤلف لجنة كبيرة من أفاضل المشتغلين بالعلوم العربية والفنون اللغوية ، ليؤلفوا للناس محيطًا جامعًا لما وسعته المعجمات على اختلاف مناحيها ، من مفردات وتراكيب ، لا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، حتى يكتفى به الباحثون عن صغار المعجمات وكبارها ، وليكون هذا المحيط خاتمًا لعهد الاضطراب ، والاختلاف ،

وتشتت الافكار ، وتبابل الألسن ، وكثرة الأقوال ، وضياع الزمن
والمال

أما تأليف اللجنة فأمر لا بد منه لأن ذلك العمل الشاق مما
لا تستقل همة فرد بأعبائه ، ولأن كل ما ظهر من عمل الأفراد (في
اللغة) حتى اليوم لا يخلو من شوائب نقص ، ولأن عمر الجماعات أطول
من عمر الأفراد ، ولأننا نريد أن يتم ذلك العمل في القريب العاجل ،
وهيات أن تفي قدرة فرد بذلك

وإذ كان الناس يُلحُّون على أولى الأمر في مصر الآن بتأليف
لجنة لوضع مدونة كبيرة للعلوم (دائرة معارف) رأيت (بهذه المناسبة)
أن أذكرهم بما قد يعترض العاملين فيها ، فيعطل سيرهم ، أو يوقفه ،
زمناً طويلاً (على الأقل) من المشكلات اللغوية . ولذلك أرى أن
يكون تأليف اللجنة اللغوية حكومياً (تقوم به وزارة المعارف ، وعلى
حسابها) ما دام تأليف اللجنة العلمية سيكون حكومياً . وأقول أيضاً
أنه لا بد من توطيد الصلة بين اللجنتين ، حتى يتم التعاون بينهما ، بيد
أنى أفضل أن تسبق اللجنة اللغوية في العمل اللجنة العلمية ، لتمهد لها
كثيراً من مسائل اللغة كالاقتناع والتعريب والتوليد ، وما إلى ذلك
من المسائل التي لا بد من تمحيصها قبل أن تقوم اللجنة العلمية بعملها ،
وإلا وقفته أو أخرجته للناس مشوهاً ناقصاً

ولا بد عند قيام اللجنة اللغوية بعملها أن تكون على اتصال تام
بالرأى العام ، بنشر مناهجها وما يعترض طريقها من عقبات على

الجمهور ، وفيه (والحمد لله) كثير من ذوى الأفكار الناضجة ، والفكر الصائبة ، فلمل ذلك مما يسهل عليها القيام بعملها كاملا

المعجمات التى نضعها اللجئة ونظامها

تبدأ اللجئة عملها بوضع محيط كبير (للمعاني) ، وبعد أن يتم تأليفه يختصر منه نسختان ، تحوى إحداها ما لا بد منه للمطالعين الذين يؤثرون العجلة فى الكشف ، ممن لا يسمح لهم الوقت بقراءة المادة المطولة فى المحيط الكبير وتكون فى حجم أقرب الموارد . أما الثانية فتكون دون هذه ، وتعمل لطابة المدارس ومن فى درجتهم من المتعلمين . ويجب أن يكون نظام هذا المعجم المحيط فريداً ، وأرى أن يُخصى الفصيح والصحيح من لغة العرب فى بعض أسفاره ، مع تقصى جميع ما ورد من ذلك فى كتب اللغة ودواوين الأدب ثم يضاف إلى ذلك سفر خاص بأعلام الأشخاص والقبائل والبلاد والأماكن

ثم سفر آخر يختص بالمولد والدخيل فى جميع العصور الاسلامية (غير الذى أدخله العرب أنفسهم فى لغتهم ، وجرى منها مجرى الدم فى الجسم ، وصار مجهول النسب)

وهذان السفران يكونان قابلين للنمو على حسب مقتضيات الزمان ، فيمكن لكل جيل أن يضيف اليهما ما شاع فى عصره من مؤلّد ودخيل واعلام ونحوها ، أما الأسفار الخاصة بمادة اللغة فلا

يصح زيادة شيء عليها إلا ما عسى أن تثبته معجمات ليست بأيدينا
الآن إن صح أن في الوجود معجمات أخرى
أما ترتيب موادها فعلى نظام أقرب الموارد والمنجد ، لأنه خير
نظام أخرج للناس . وأما ضبطه بالشكل الكامل ، ومراعاة الدقة في
تصحيحه ، فيجب أن يكونا بالمحل الأول من اهتمام المنفذين لهذا
المشروع الجليل ، حتى يبرأ مما أصاب معجماتنا من غلط تشويه ومسوخ
وبعد فلا أرى هذه المعجمات الثلاثة (المحيط ومختصره) سادة
لحاجتنا من جميع وجوهها ، بل لا بد من وضع معجمات أخرى
(للألفاظ) على طريقة المخصص لابن سيده لأن تلك معجمات أهل
الفنون والصناعات والمترجمين ونحوهم ممن يعرفون المسميات ولا
يعرفون أسماءها . ونحن في إبان هذه النهضة المباركة لا بد أن نمد يد
المعونة لأولئك الساعين في إنهاض الممالك العربية نهضة علمية فنية
بإيجاد المعجمات التي يسهل عليهم الرجوع إليها

عند ذلك استطيع ان اقول إننا نخدم لغتنا ، ونقوى جامعتنا ،
وإننا قد وضعنا حجر الزاوية في بناء النهضة العربية ، وإننا ناهضون
ومسرعون الى الحياة المستقلة السعيدة ، التي نحن احقُّ بها واهلها .

مصطفى السقا

مدرس بمدرسة الامير فاروق الثانوية